تجدون في هذا العدد

العدد السادس، شوّال ١٤٤٠هـ | ماي ٢٠١٩م

مَصَابِيحُ العِلْمِ

نشرة دعوية تُعنى بالتراث والمخطوط والسِيَر والتَّاريخ

التحرير:

أبو محمد سمير سمراد

للتواصل:

الهاتف:

(+213)557658006

البريد الإلكتروني:

aboumohamedsamir@gmail.com

الموقع:

www.ilmmasabih.com

مَنْ عَلَّمَنِي حَرْفًا صِرْتُ لَهُ عَبْدًا!!

مَقُولَةٌ مَشهُورَةٌ، سمِعناهَا في سِنِّ المُراهَقَة، وكانَت المُلَاجَّةُ قد عرفَت طريقَها إلينَا، وحَسِبْنَا أنَّا قد بَلَغْنَا مَبْلَغًا، نَسْتَطِيعُ مَعَهُ نَقْدَ أَيِّ شَيْءٍ لَا تَبْلُغُهُ عُقولُنَا، بَلْ وردَّهُ وتَسْفِيهَهُ أَحيانًا. وإِذْ كانَ الأَمرُ يَتعلَّقُ بِالعُبودِيَّة، ولم نَفْهم لَهَا مَعنًى سِوَى الرِّقِّ! دَافعْنَاهَا بِشِدَّةٍ وبِشَيءٍ مِن سُخريَةٍ، أَمْلَتْهَا المُراهَقَةُ المُندَفِعَةُ نحوَ التَّحرُّرِ مِن كُلِّ قَيدٍ!... هذا ما أَذكُرهُ الآنَ عن رِدَّةِ فِعْلٍ كانت قدِيمًا قَدِيمًا!!

ثُمَّ طَلَبَتُ لِتِلكَ المقولةِ رَأيَ ونَقْدَ أُناسٍ عالِمين، فوَقفتُ ـ فيما وَقفتُ عليهِ ـ على كتاب «**معجم المَنَاهِي اللَّفظيَّة**»، فوجدتُ الشَّيخَ العلَّامةَ يُدرِجُها ـ أي: المَقُولَةَ بِحُروفِها ـ فيمَا يُنْهَى عَنهُ، لِاشتمالِهِ على معنًى مُحرَّمٍ أو غيرِ سَائغٍ[١]، لكنَّهُ وَجَّهَ كَلَامَهُ نحوَ رِوَايةٍ حديثيَّةٍ موضوعَةٍ؛ وهِيَ: «**مَنْ عَلَّمَكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ، فكَأَنَّمَا مَلَكَ رِقَّكَ، إِنْ شَاءَ بَاعَكَ، وَإِنْ شَاءَ أَعْتَقَكَ**»!، ونقلَ إنكارَ التَّقِيِّ ابنِ تيميَّةَ لِمَعناهُ، وأَنَّهُ مخالفٌ لإجماع المسلمين.

نعم، هُوَ مُسْتَنكَرٌ إذا كان المَعنَى هُوَ عُبُودِيَّةُ الرِّقِّ!، وَلِي هُنا بَعضُ كلمةٍ؛ وهُوَ أَنَّ مَن أرسلَ تلك المَقولَةَ، لأَجلِ ذلكَ المَقام ـ مَقَام الإِحْسَان ـ، إنَّما أرادَ لها معنًى أو معانٍ، يُؤكِّدُ بِها حَقَّ بل حُقُوقَ مَن أَسَرَنَا إِحْسانُهُم، واسْتَرَقَّنَا إِفْضالُهُم، ومَلَكَنَا إِنْعَامُهُم، والأَسْرُ وَالاِسْتِرْقَاقُ وَالمِلْكُ أو إطلاقُ الاِسْتِعْبَادِ، هُوَ تَجَوُّزٌ وَتسامُحٌ ـ فيما أَحسِبُ!ـ يُرادُ بِهِ فِيمَا يُرَادُ: **الطَّاعَةُ وَالخُضُوعُ**.

وقد استعمَلَهُ غيرُ واحدٍ مِن الأُدباء والبُلَغاء؛ أرباب المَعانِي:

قال أبو حيَّان التَّوحيديُّ في بيتَينِ لهُ يُذَكِّرُ بِحَقِّ الصِّدِيقِ في عُبُودِيَّةِ الطَّاعَةِ!: «... **وَكُنْ لِخِلِّكَ عَبْدًا**»، يُرِيدُ: **طَاعَتَهُ وَحُسنُ مُوافَقَتِهِ**[٢].

وبعد أَن ذَكَرَ المَاوَرْدِيُّ أَنَّ الإِحسانَ عُبوديَّةٌ ورِقٌّ، والاِمتِنانَ أَسْرٌ، قال: وَ«**قَالَ بَعْضُ الأُدَبَاءِ: بِالإِحْسَانِ يُرْتَبَطُ الإِنْسَانُ**»[٣]، وقال التَّوحيديُّ: «**رِقُّ الإِنْسَان، مِن ثَمَرَةِ الإِحْسَان**»[٤].

١. كما في (ص ٥٣٠) مِنهُ.
٢. [الصَّدَاقَة والصَّدِيق (ص: ٧١)].
٣. [أدب الدنيا والدين(ص: ٢٣٣)].
٤. [الإمتاع والمُؤانسة (ص: ٢٤٥)].

قال أسامة بن مُنقِذ فِي مَن أَحسَنَ إِلَيهِ[١]:

يُعَبِّدُنِـي لَـكَ الإِحْسَـانُ طَوْعًـا وَفِـي الإِحْسَـانِ رِقٌّ لِلكِـرَامِ

وقالَ المَاوَرْدِيُّ: «**مَنْ أُسْدِيَ إِلَيْهِ المَعْرُوفُ وَاصْطُنِعَ إِلَيْهِ الإِحْسَانُ، فَقَدْ صَارَ بِأَسْرِ المَعْرُوفِ مَوْثُوقًا، وَفِي مِلْكِ الإِحْسَانِ مَرْقُوقًا**»[٢]اهـ.

قال البُسْتِيُّ في قصيدته: «عُنْوَانُ الحِكَم»:

أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ فَطَالَمَا اسْـتَعْبَدَ الإِنْسَانَ إِحْسَـانُ

لعلَّ بهذا البيان لم يبقَ مَا يُستَنكَرُ في قَولةِ القائل: «**مَنْ عَلَّمَنِي حَرْفًا صِرْتُ لَهُ عَبْدًا**»؛ فمَن أحسَنَ إليكَ بِالتَّعليمِ مِن جَهالَةٍ أو أَفَادَكَ عِلْمًا، فقدِ اسْتَرَقَّكَ واستعبَدَكَ بِإحسانِهِ، وطَوَّقَ رقبَتكَ بِامتِنَانِهِ، فَارتبطَتَ بِهِ وانتمَيتَ إِليهِ؛ مِن أجلِ ذلِك.

«نُقِلَ أَنَّ رَجُلًا مِن العَوَامِّ كان إذا قَدِمَ على الإمام الشَّافعيِّ رضي الله عنه **يَقُومُ لَهُ**. فَسُئِلَ عن ذلك؟ فقال: أَنَا سَمِعتُ مِنهُ أَنَّ الكَلْبَ إِذَا بَلَغَ يَرْفَعُ رِجْلَهُ عِنْدَ البَوْلِ، وإِنَّ الحُرَّ مَن رَاعَى وِدَادَ لَحظَة، **وَانْتَمَى لِمَن أَفَادَهُ لَفْظَة**، وَاللَّئِيمِ إِذَا ارْتَفَعَ جَفَا أَقَارِبَهُ، وأَنْكَرَ مَعَارِفَهُ، **ونَسِيَ فَضْلَ مُعَلِّمِيهِ**»[٣].

هذا وإنَّ تلكَ المَقولةَ المُشتهرةَ على الأَلسِنَة، وَرَدَت مَأثورةً عن بعضِ الأكابِر؛ قال الحافظ الكبير أمير المؤمنين في الحديث؛ «شُعْبَةُ بنُ الحَجَّاج»(ت ١٦٠ هـ): «**كُلُّ مَنْ سَمِعْتُ مِنْهُ حَدِيثًا، فَأَنَا لَهُ عَبْدٌ**»[٤].



١. [الإعتبار (ص: ٥)].
٢. [أدب الدنيا والدين (ص: ٢٥٢)].
٣. [حاشية العَدَوي على شرح الخَرَشي على مختصر خليل (٨/ ٢٣٣)].
٤. [العِلَل ومعرفة الرِّجال لأحمد بن حنبل (رقم ٢٩٩١)].

زِيَارَةُ القُبُورِ الشَّرعيَّة وَالشِّرْكِيَّة!

• الشَّيخ: أحمد حمَّاني رحمه الله | رئيس المجلس الإسلاميّ الأعلى بالجزائر

❍ قال رحمه الله: «... زيارةُ القُبور كانت مِن المَحْظُور، ثُمَّ نُسِخ الحَظْرُ وجاء الإذنُ فيها، والأمرُ عن رسول الله ﷺ قولًا وعملًا وإقرارًا، مَرويٌّ عن كثيرٍ مِن الصَّحابة، منهم عائشة وأبو هريرة وأنس وبُريدة، وخَرَّجَهُ أئِمَّةُ الصِّحاح وأَهلُ السُّنَن، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «كُنْتُ نَهَيتُكُم عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُورُوهَا»، وفي حديث ابن مسعود: «... فَزُورُوا القُبُورَ فَإنَّها تُزَهِّدُ في الدُّنيا وتُذَكِّرُ الآخِرَة»، وفي حديث أبي هريرة: «فَزُورُوا القُبُور، فَإنَّها تُذَكِّرُ المَوْتَ»، وفي حديث أنس: «... أَلَا فَزُورُوهَا، فإنَّهَا تُرِقُّ القَلبَ وتُدْمِعُ العَيْنَ وتُذَكِّرُ الآخِرَةَ، ولَا تَقُولُوا هُجْرًا»، وفي حديث أبي هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ أَتى المَقبرةَ فقال: «السَّلامُ عَلَيْكُم دَارَ قَومٍ مُؤْمِنِين، وَإنَّا إن شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ»[١].

وروى البخاريُّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ مَرَّ بامرأةٍ تبكي عندَ قبر، فقال: «اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي»، ولَم يُنكِر عليها الزِّيارة، فَزِيَارَةُ القُبورِ مَأذُونٌ فِيهَا ومَأمُورٌ بِها، دَليلُ ذلكَ قولُ النَّبيِّ ﷺ وفِعْلُهُ وإِقْرَارُهُ، وقد اختُلفَ في حُكْمِ زيارةِ النِّساءِ لها ...

ليس الغَرَضُ مِن الزِّيارةِ الشَّرعيَّة تكريم المَيِّت، أو المُبَاهَاة بِقَبْرِهِ الفَخْم، أو تقديم الهَدَايَا لِمَا لَا يَسمع ولَا يُبْصِر، وإِنَّما لها غَرَضٌ صحيحٌ مَعقولٌ بِالنِّسبَةِ لِلحَيِّ والمَيِّت: فالحَيُّ اتِّعَاظُهُ وتَذَكُّرُهُ المَوتَ والدَّارَ الآخرة، لِيَرِقَّ القَلْبُ، وتَدْمَعَ العَيْنُ، كما جاء في حديث الأَمر بالزِّيارة، والمُؤمنُ باللهِ يَحتاجُ إلى كُلِّ هذا حتَّى لَا يَقْسُوَ قَلْبُهُ، ولا يَطْغَى في قَولٍ أو فِعْلٍ، لأنَّهُ يَعلَمُ أنَّ مَآلَهُ مَآلُ هذا المَيِّت وأَمثالِهِ، حتَّى الطُّغَاةُ والجَبَابِرَةُ، مِثل الَّذي قال يومًا مَا: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[النازعات:٢٤]، وقال: ﴿أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[الزُّخرف:٥١]، سيُسْأَلُ هؤلاء المَغرُورُونَ بِالدُّنيا: ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾[المؤمنون:١١٢] فيُجِيبُون: ﴿لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ﴾[المؤمنون:١١٣].

أَمَّا بالنِّسبةِ لِلمَيِّت، فإنَّه يَنتفِعُ بِدُعاءِ إِخوانِهِ مِن المُؤمِنِين الأَحياء، فعَن بُريدة رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعلِّمُهُمْ إذَا خَرَجُوا إِلَى المَقَابِرِ، أَن يَقُولَ قَائِلُهُم: السَّلامُ عَلَيْكُم أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، نَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ»[٢].

وقد مَرَّ في سُؤَالِ عائشةَ لِلرَّسُولِ ﷺ: «كَيْف

١. رواه مسلمٌ والنسائي.

٢. رواه مسلمٌ وأحمد وابن ماجه.



أَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ!إِذَا زُرْتُ القُبُورَ؟ قَالَ: قُولِي: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ...»[١].

والصَّحيحُ أَنَّ المَيِّتَ يَنتفِعُ بِالدُّعَاءِ، دَلَّ على ذلك القُرآنُ والسُّنَّة؛ كما في قَولِهِ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[الحشر:١٠]، وفِعلُ الأَنبياء؛ كما قصَّ القرآن الكريم: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[إبراهيم:٤١]، ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾[نوح:٢٨].

هذه هيَ الزِّيارة الَّتي أَمَرَ بِها الرَّسُولُ [ﷺ] وَأَذِنَ فيها، فإِذَا خَالَفَت عَنْهَا لم تَكُن سُنَّةً، ولَم يَشْمَلْهَا الإِذْنُ، وخُصُوصًا إِذَا كان فِيها تَعظِيمُ القَبْرِ أو سَاكِنِهِ بِأَيِّ نَوعٍ مِن أَنواعِ التَّعظيم، فإِنَّهُ عِبَادَةٌ، ومِن أَخْطَرِهَا أَفعالُ الجَاهِلِيَّة: أَن تُزَارَ القُبُورُ لِلتَّمَسُّحِ بِهَا، أَو تَقبِيلِهَا، أو السُّجُودِ عَلَيها، أو دُعَاءِ سَاكِنِيهَا، واعْتِيَادِ جَلْبِ النَّفْعِ أَو دَفْعِ الضَّرَرِ مِن (الوَلِيِّ) السَّاكِنِ رَمْسُهُ تَحتَ تُرابِها، فكُلُّ هذا مِن أَفعالِ مَن أَشْرَكَ وكَفَرَ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنهُ، ونَتَبَرَّأُ مِن فَاعِلِه.

الخُلَاصَةُ أَنَّ السُّنَّةَ النَّبويَّة هِيَ كما بيَّنَّاها، وغيرُها بِدْعَةٌ، فمَا عَلَينا لَوْ أَخَذْنَا بِالزِّيَارَة وكيَّفْنَاهَا بالسُّنَّة النَّبويَّة، واكتفينَا بِهَا؟...».

[«فتاوى الشَّيخ أحمد حمَّاني»(٢/٤٨٨-٤٩٠)، ط. وزارة الشؤون الدينيَّة- الجزائر، وَ(٢/٧٩-٨٠)، ط. عالم المعرفة].

١. رواه مسلمٌ.

لاَ تُسِيئُوا الظَّنَّ بِبَعْضِكُم، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَكُمْ!

• مِن وَصَايَا الإِمام ابن بادِيس رحمه الله

هَذِهِ شَذْرَةٌ مِن تاريخِ رجالٍ! كانُوا عَامِلين مُتَعَاوِنين، وقبلَ ذلكَ كانُوا مُخْلِصِين، دَبَّ إليهم شَيءٌ مِن خِلَافٍ! وسَاءَت بِبَعضِهم ظُنُون! وكَانَ إِسْرَاعٌ في القَوْل مِن بَعضِهِم لِبَعضٍ، فوَقَعَ ما لَا يُرضَى مِنَ الاتِّهام أو التَّجَنِّي!! فكانَ حَتْمًا أن يكون في هؤلاءِ الرِّجال مَن يُصْلِحُ ذَاتَ بَينِهِم، ويَقُومُ بِنُصرَةِ إِخْوانِه، امْتِثَالًا لِقَولِه ﷺ: «انصُرْ أَخاكَ ظَالِمًا أَو مَظْلُومًا»!... وَمَن نَعُدُّ في الرِّجال إذا لم نَعُدَّ «**عبد الحميد ابن بادِيس**»؛ الَّذِي هُوَ «أَبُو الجَمِيع»؟!، ولقد حَبَّرَ رحمه الله نَصِيحةً لإخوانِهِ وأبنائِهِ؛ عُنوانُها: «**لَا تُسِيئُوا الظَّنَّ بِبَعْضِكُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَكُمْ**». كانَ ذلكَ في إِثْرِ وَاقِعَةٍ، إِلَيكُم سَرْدَهَا، ويَتلُوها نَصُّ نصيحةِ الإمامِ!

❋ تَحتَ عُنوَان: «**حَوْلَ بَرَاءَةِ الشَّيخ الطَّيِّب ورَفِيقِه[١]**»، كتبَ الشَّيخ مُبَارَكٌ المِيلِيُّ؛ مُحَرِّرُ ومُدِيرُ جريدة «البَصَائِر» قَائِلًا: «تتَبَّعْنَا حَسَبَ الإِمْكَان قَضِيَّةَ الشَّيخ الطَّيِّب ورَفِيقِه، وكَتَبنَا عنها في العَدَدَين (١٧١) و(١٧٢)؛ ما يُعبِّرُ عن تَضامُنِنَا وحُسْنِ عَوَاطِفِنَا؛ إِرْضَاءً لِضَمَائِرِنَا، لَا تَزَلُّفًا لأَحَدٍ، ولَا تَقَرُّبًا مِن آخَر، وأَبْرَقْنَا إلى الشَّيخ الطَّيِّب مُهَنِّئِين.

وكَتَبَ الرَّئِيسُ افتتاحيَّةَ الأَعدَاد التَّالِيَة في المَوضوع[٢]، ونَشَرْنَا ما جَاءَنَا مِن تَهَانٍ.

وبَعدَ هذا نَرَى السَّيِّد عبد الرحمن بركاتي[٣]؛ يَكتُبُ إِلَينَا بِاسمِ ثُلَّةٍ مِن إِخوَانِنَا البِسكْرِيِّين مُحْتَدًّا مُحْتَجًّا ضِدَّ «البَصَائِر» ومُدِيرِهَا، مُعَرِّضًا بِأَنَّ في قَلبِنَا مَرَضًا، ذَلِكَ بِأَنَّنِي لَم أَكتُب فِي «البَصَائِر» التَّهنِئَةَ بِالبَرَاءَةِ بِقَلَمِي!

ونَحنُ نَقُولُ: لَعنَةُ اللهِ والملائكةِ وأَهلِ العِلمِ والنَّاسِ أَجمعين عَلَيَّ إِنْ كَانَ فِي قَلبِي مَرَضٌ أو ضَعفُ سُرُورٍ بِبَرَاءَةِ الأُستاذ العُقبِيِّ وَرَفِيقِهِ.

ثُمَّ أُفَوِّضُ أَمرِي إلى اللهِ العَالِمِ بِالسَّرَائِرِ في حُكْمِهِ عَلَى مَن سَاءَ ظَنُّهُ بِي في هذا المَوضوع.

أَكتُبُ هذا ومَا بِي ضَعفٌ عَن تَحَمُّلِ مَسؤولِيَّةِ عَمَلِي عِندَ اللهِ وعِندَ النَّاس، وما في ثِقَتِي بِاللهِ

١. أي: مِن تُهمةِ تَدبِيرِ قَتلِ المُفتِي المَالكي بمدينة الجزائر.

٢. وقبلَ ذلك كان يكتبُ المقالَ الافتتاحي، ولكن جاء العدد (١٧٢)، خَالِيًا مِنهُ، فكتبَ الشَّيخ مُبارك ما يَلي: «المقال الافتتاحيّ: اشتغلَ الرَّئيس الجليل عن تحرير المقال الافتتاحيّ بِتَتَبُّع سَيْرِ بَحث الأستاذ الشَّيخ الطَّيِّب العُقبيّ في مدينة الجزائر. ولهذا يَعتذرُ عَن تأخُّر مَقاله عن هذا العدد» اهـ. انظر: «البصائر»، عدد (١٧٢)، (ص٣). ثُمَّ كتبَ الرَّئيس افتتاحيَّاتِهِ في المَوضوع. انظر العددين: (١٧٣) و(١٧٤).

٣. الشَّيخ عبد الرحمن بركات: هُوَ رئيسُ شُعبَة جمعيَّة العُلماء بـ«بِسكْرَة». انظر: «البصائر»، عدد ٥١، (ص٥).

ضَعفٌ مِن كَشْفِ أَغـراضِ الفَتَّانِينَ واسْتِبْصَارِ المُنْخَدِعِين»[١].

❋ «لاَ تُسِيئُوا الظَّنَّ بِبَعْضِكُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَكُمْ»

«بعدما قَرأتُ ما كتبه الأُستاذ مُديرُ «البصائر» فيما جاءَهُ مِن الشَّيخ عبد الرَّحمن بركاتي، وَقَفتُ على نَفسِ كِتابِ الشَّيخ عبد الرَّحمن، فأَسِفْتُ لِمَا رَأَيتُ فِيهِ مِن سُوءِ ظَنِّ الأَخِ بِأَخِيهِ وسُرعَةِ تَجَنِّيهِ عَلَيهِ، فمُديرُ «البصائر» رأى أَنَّ ما كَتَبَهُ رئيسُ الجمعيَّة هُوَ بِلِسانِ الجمعيَّة كُلِّهَا، و«البصائر» مِن جُملتها، فإذا كان الشَّيخ عبد الرَّحمن لم يَرَ في ذلك كِفايَةً، فكان عَلَيهِ أَن يَذكُرَ هذا لأَخِيهِ مُدير «البصائر» كرَأيٍ، أَو يُوَجِّهَهُ إِلَيهِ كعِتَابٍ، فأَمَّا سُوءُ الظَّنِّ، وسُوءُ الظَّنِّ بالشَّيخ مُبارك، في جانبِ الشَّيخ الطَّيِّب، في قَضِيَّةٍ هِيَ قَضِيَّةُ الجَميع، فمِمَّا نُعِيذُ الأَخَ الشَّيخ عبد الرَّحمن بِاللهِ مِن مِثْلِهِ، ولَا نَـدرِي كيف كـان هذا مِن الشَّيخ عبد الرَّحمن الَّذي نَعرِفُ أَخلَاقَهُ الرَّضِيَّةَ وقَلْبَهُ الطَّيِّبَ.

أَكتُبُ هـذِهِ الكَلِمَةَ لَا لِلشَّيخ عبد الرَّحمن وَحْدَهُ، بَل لَنَا كُلِّنَا، حَتَّى لَا نَدَعَ لِلشَّيطانِ فِيمَا بَينَنَا سَبِيلًا، وأَرجُو أَن تَقَعَ مَوقِعَ القَبُول مِن الجَمِيع، كما صَدَرَت مِن قَلْبٍ -عَلِمَ اللهُ- هُوَ لِلجَمِيع.

جَمَعَ اللهُ قُلُوبَنَا على الحَقِّ، وَوَقَانَا كَيْدَ الكَائِدِين». «**عبد الحميد بن باديس**»[٢].

❋ قال الشَّيخ ابن باديس في كِتابٍ مُؤرَّخٍ في (٩ رجب ١٣٥٦هـ موافق ١٩٣٧/٩/١٥م): «الأَخ الكريم الشَّيخ محمَّد خير الدِّين- أيَّده الله وحفظه، السَّلام عليكم ورحمةُ الله وبركاته، وبعد: فأُنبِّهُكُم إلى ما يَجِبُ مِن العِنايةِ بالشَّيخ حمزة بُوكُوشَة، فلَيسَ مِثلُهُ مِمَّن يُتَهاوَنُ بِهِ، أَنْشكُو مِن قِلَّةِ الرِّجال ثُمَّ نَتَغافَلُ عَن مِثلِهِ؟!...»[٣].



١. [«البصائر»، عدد ١٧٥، (ص٣)].

٢. [«البصائر»، عدد ١٧٦، (ص٢)].

٣. [رسالةٌ مخطوطةٌ نُشرت في كتاب: «الإمام ابن باديس رائد النهضة...» للزُّبير بن رحال (ص١٣٦-١٣٧)].

كِتاب "الكَبَائِر" لِابْنِ القَيِّم

قُطُوفٌ مِن كِتابٍ مَفقُود!

لم يزل المتعلِّقون بتُراثِ الإمام الرَّبَّانِيِّ ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة رحمه الله يَتشوَّفُون إلى الاطِّلاع على المفقود مِن آثاره؛ لِمَا تَعَوَّدُوهُ مِن هذا الإمام وعهدُوه مِن المعاني الرَّائقة والعبارات الفائقة الَّتي حَوَتها مُصنَّفاتُه الأَنِيقَة، والَّتي لم تزل مُبتغًى لِكلِّ مَن أراد التَّحقيق المدقَّق ورَامَ النَّقل المُصدَّق، وقد ظَلَّت عُدَّةً لكلِّ مُوَحِّدٍ سُنِّيٍّ، وذخيرةً لِكُلِّ سَلَفِيٍّ أَثَرِيٍّ، ودَلِيلَ صِدقٍ لطالبِ النَّجَاة.

قال الحافظ الذَّهبيُّ في «العِبَر»: «ومُصنَّفاتُه سَائِرَةٌ مَشهورةٌ»اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير في «تاريخه» (١٤/١٢٦-إحياء التراث): «صاحب المُصَنَّفات الكثيرة النَّافِعة الكافِيَة».

ونقل الشوكانيُّ في ترجمته -مِن «البدر الطالع»- قولَ الحافظ ابن كثير: «وكلُّ تصانيفِه مَرغوبٌ فِيها بين الطَّوَائِف»، وقولَ الحافظ ابن حجر: «ولهُ مَلَكَةٌ قويَّةٌ»اهـ، ثُمَّ قال: «ولهُ مِن حُسن التَّصرُّف مع العُذوبة الزَّائدة وحُسن السِّيَاق ما لا يَقدر عليه غالبُ المُصنِّفين؛ بحيث تَعشَقُ الأفهامُ كلامَه وتَمِيل إليه الأذهان وتُحِبُّه القُلوب، وليس لهُ على غيرالدَّليلِ مُعَوَّلٌ في الغالِب... فرحمهُ اللهُ وجزاهُ عن المسلمين خيرًا» اهـ.

لقد عَدَّدَ المُتَتَبِّعُون لآثار هذا الإمام مُصنَّفاتِهِ ومُؤلَّفاتِه، الكبار منها والصِّغار، المطبوعة منها -بذكر طبعاتها- والمخطوطة -بذكر أماكن وجودها-، وماهو في عداد المفقود منها -مِمَّا ذكره هو أو ذكره له مُتَرْجِمُوهُ أو نقل عنه منها المُصنِّفون-، ومِن أفاضل أولئك المعتنين بميراث الإمام: العلَّامةُ الشَّيخ بكر أبو زيد رحمه الله، ولا يخفى على المُطَّلِعين: ذلكم المشروع العظيم: جمع آثار ابن قَيِّم الجوزية وإعادة طبعها على أحسن النُّسَخ وأجودها وبخدمةٍ لائقة بها، وقد صدر منها أجزاء مُهمَّةٌ غاليةٌ نفيسةٌ، اغتبط لها أهل العلم ومُحِبُّوه، وهُم في انتظار إخراج البقيَّة منها، وهُم إلى ما لم يُطبع بالمرَّةِ مُتشوِّفون ومُتطلِّعون!

أقول: مِن تِلكم التَّصانيف الحافِلة: «كتاب الكَبَائِر». ذَكَرَهُ لهُ تلميذه الحافظ ابن رجب، وقال عنهُ: إنَّهُ «مُجَلَّدٌ» -كما في «ذيل طبقات الحنابلة»-.

ولم يزل الكتاب إلى حَدِّ الآنَ -في حدود علمي واطِّلاعي- في عداد المفقود مِن آثارِهِ، لَا نَعلم عنهُ شيئًا!

وهذه قُطُوفٌ مِن الكِتَابِ عَثَرْنَا عليها في بَعضِ

الكُتُب الَّتِي نَقلَت عَنهُ.

❊ في كتابِ «**العقد الثمين في بيان مسائل الدِّين**»[١]، لِمُؤلِّفِه: أبي المعالي علي بن محمد سعيد السُّوَيْدِيِّ البغدادي الشَّافعيِّ (ت ١٢٣٧هـ):

١ ـ قال (ص٣١٦-٣١٧):

«وقال العَلَّامة ابنُ القَيِّم في كتابه «**الكبائر**» ما نَصُّهُ:

فَصْلٌ: يكفُرُ مَن يعبد غير الله ﷻ مِن رسولٍ أو نَبِيٍّ أو جِنِّيٍّ أو نَجْمٍ أو مَلَكٍ أو شَيْخٍ أو غيرِ ذلك، وقد يَقع في هذا بعضُ الجُهَّال المُنتسِبين إلى دين الإسلام في أُمورٍ تَقعُ مِنهُم عن جهلٍ، فمِن ذلك المُنتَسِبُون إلى المشايخ، كالشَّيخ أحمد الرِّفاعيِّ، أو الشَّيخ يونس، أو الشَّيخ عَدِيٍّ، أو غيرِهم، لأَنَّهُم مُتَأَلِّهُون بِذِكرِهم ومَحَبَّتِهم مِن دُونِ الله، مُنعَكِفِين على قُبُورِهم؛ يُقبِّلُونها، ويَسجُدُون لها، ويَستغيثُون بِهم، ويَطلُبُون مِنهُم المَغفرة وقضاء الحوائج، وهذا أَصلُ عبادة الأَوْثَان، وهُوَ نَوعٌ مِن الإشراك بالله. ثُمَّ ذَكَرَ كلامًا طويلًا في أَحوَالِ المُشْرِكين، وكَيفَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطَانُ أَعمالَهُم، وأَنَّ أَصلَ عِبادَةِ الأَوْثَان كَانَ عَن تعظِيم الصَّالِحِين وآثَارِهِم، ثُمَّ قال:

ومِن ذلك الاستغاثة بِهِم في قضاء حوائجهم، والحَلِفُ بِهِم، والتَّوَاجُدُ عند ذِكرِهِم مَا لَا يَفعلُونَهُ عند سماع آياته، فَمَن استعانَ بِغَيرِ اللهِ أَو استغاثَ بِهِ كما يَقُولُهُ هؤلاء المُتَوَلِّهُون بالمَشَايخ: يا سيدي الشَّيخ فُلَان! فَقَد أَشركَ مع اللهِ غَيرَهُ، قال اللهُ ﷻ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]، أي: شُرَكَاء تَستغِيثُونَ بِهِم وتَعبُدُونَهُم مِن دُونِ اللهِ، وقال النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»[٢]، فَمَن سَأَلَ غَيرَ اللهِ المَغفرةَ أو قضاءَ الحوائجِ واستعانَ بِغَيرِ اللهِ، فقَد أَشْرَكَ مَعَ اللهِ.اهـ.

ثُمَّ عَدَّ مِنَ الشِّرْكِ الحَلِفَ بِغَيرِ اللهِ تعالى، وقَولَ: مَا لِي إِلَّا الله وأَنْتَ، أو مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وتَعْلِيقَ الرُّقَى والتَّمَائِم والتِّوَلَة، والمُرَاءاة في الأَعمال...»اهـ.

٢ ـ وقال (ص٣٦٣-٣٦٤):

«وقال أيضًا ابنُ القَيِّم في كتابه «**الكبائر**»: ومِن ذلك ما رُوِيَ عن ابن مسعود ﵁ مرفوعًا إلى النَّبِيِّ ﷺ قال: «**الرُّقَى والتَّمَائِم [وَالتِّوَلَة] شِـرْكٌ**» رواه الإمام أحمد وأبو داود[٣].

والتِّوَلَةُ: نَوعٌ مِن السِّحْر، وهُو تَحْبِيبُ المَرأةِ إلى الزَّوج.

والتَّمَائِم جَمْعُ تَمِيمَة، وهِيَ: خَرَزَةٌ يُعَلِّقُونَهَا

---

١. في العقائد السَّلَفِيَّة. كما قال محمود شُكْري الأَلُوسِيُّ في ترجمته مِن «المِسك الأذفر» (١/ ٢٢٦). وقد فرغ من تأليفه سنة ١٢١٤هـ كما في خاتمته، وهو مِن طبع. الجابي، دار ابن حزم، ط١/ ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٢. «صحيح الجامع الصغير» للألباني (رقم ٧٩٥٧).

٣. صحيحٌ. كما في «غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام» للألباني (رقم ٢٩٨).

على الوَلَد يَزْعُمُون أَنَّهَا تَرُدُّ العَيْنَ. انتهى»اهـ.

❋ وفي كتاب «تنبيه الغافلين» لابن النَّحَّاس الدِّمشقيِّ الَّذي فرغ مِن تَصنيفِهِ سنة (٨١١هـ)، فصلٌ كبيرٌ في (الكبائر والصَّغائر)، يقول (ص١٤٨/ ط. الهنداوي): «... وقد ذكرتُ هذا الفصل إلى آخره، نَسْجًا على غير مِنوال، لِعدمِ وُقُوفِي على مُصَنَّفٍ مُفردٍ في الكبائر، ثُمَّ لَمَّا أتممتُ الكتاب، وَقفتُ على مُصَنَّف الحافظ شمس الدِّين الذَّهبيِّ، ومُصنَّف الإمام العلَّامة شمس الدِّين ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة -رضي الله تعالى عنه- فوجدتهما أهملا كثيرًا مِمَّا ذَكرتُهُ، مع وضوح الدَّليل فِيهِ، وذكرا -أيضًا- أشياء ما كُنتُ ذَكَرتُهَا، فألْحقتُهَا، كما ستقِفُ عليه -إن شاء الله تعالى-. واللهَ أَسألُ المَعونةَ والتَّوفيق»اهـ.

٣ـ قال (ص١٦٤):

«ومِنهَا: **إِتْيَانُ الكُهَّان والعَرَّافِين والمُنَجِّمِين مَعَ التَّصدِيقِ لَهُم فِيمَا يَقُولُون** ... وكذا عَدَّهُ الحافظ شمس الدِّين الذَّهبيُّ[١]، والشَّيخ شمس الدِّين ابنُ القَيِّم في كتابَيهِمَا مِن الكبائر. واستدلَّا عَلَيهِ بما في «صحيح مسلم»...: **«مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَربَعِينَ يَومًا»**...إلخ»اهـ.

٤ـ وقال (ص١٦٩):

«ومِنهَا: **لَعْنُ المُسْلِمِ لِغَيْرِ سَبَبٍ شَرْعِيٍّ، وَلَعْنُ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ اللَّعْنَ**: كذا عَدَّهُ الشَّيخ شمس الدِّين ابن القَيِّم، والحافظ الذَّهبي[٢] وغيرهما، لِقوله ﷺ: **«لَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ فِي الإِثْمِ»**[٣]... »اهـ.

٥ـ وقال (ص١٧١):

«ومِنهَا: **تَتَبُّعُ عَوْرَاتِ المُسْلِمِين**: كذا عَدَّهُ ابن القَيِّم في الكبائر. واستدلَّ عليه بما رواه التِّرمذيُّ...: **«يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ، وَلَا تَتْبَعُوا عَوْرَاتِهِمْ»**[٤]... »اهـ.

٦ـ وقال (ص١٧١):

«ومِنْهَا: **قَوْلُهُ فِي يَمِينِهِ: وَإِلَّا كُنْتُ يَهُودِيًّا أَو نَصْرَانِيًّا أَو كَافِرًا، أَو نَحْوُ هذا الكَلَام وَهُوَ كَاذِبٌ**: وكذا عَدَّهُ ابنُ القَيِّم في الكبائر أيضًا... »اهـ.

٧ـ وقال (ص١٧٥):

«ومِنْهَا: **الطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ الثَّابِتَةِ فِي ظَاهِرِ الشَّرْعِ**: وكذا عَدَّهُ الذَّهبيُّ[٥]، والعَلاَّمة شمس الدِّين ابنُ القَيِّم... »اهـ.

٨ـ وقال (ص١٧٧):

«... **وقَد عَدَّ النِّيَاحَةَ واللَّطْمَ مِن الكَبَائِر جماعةٌ مِنهُم: الذَّهبيُّ[٦] وابنُ القَيِّم رحمهما الله تعالى**»اهـ.

---

١. هُوَ كذلكَ في «الكبائر» للذَّهبيِّ (الكبيرة الحادية والأربعون)(ص١١٨).

٢. هُوَ كذلكَ في «الكبائر» للذَّهبيِّ (الكبيرة التاسعة والثلاثون)(ص١١٢).

٣. «صحيح الجامع الصغير» للألباني (رقم ٧١٠)، دون قولِهِ: «في الإِثْمِ»

٤. «صحيح الجامع الصغير» للألباني (رقم ٧٩٨٤ و٧٩٨٥).

٥. هُوَ كذلكَ في «الكبائر» للذَّهبيِّ (الكبيرة السابعة والأربعون)(ص١٢٩).

٦. هُوَ كذلكَ في «الكبائر» للذَّهبيِّ (الكبيرة السادسة

٩ـ وقال (ص١٩١):

«**ومِنْهَا: الإِحْـدَاثُ فِي الدِّينِ**: لِقَولِهِ ﷺ في الحديث الصَّحيح: «لَعَنَ اللهُ مَنْ أَحْدَث حَدَثًا أَو آوَى مُحْدِثًا»[١]. قال الشَّيخ شمس الدِّين بنُ القَيِّم: وهذه الكبيرةُ تَختلفُ مَرَاتِبُها بِاختلافِ مراتب الحَدَثِ في نَفْسِهِ؛ فكُلَّمَا كان الحَدَثُ أَكْبَر، كانت الكبيرةُ أَعْظَم. وقد عَدَّ الحافظ الذَّهبيُّ في الكبائر[٢]: «مَنْ دَعَا إلى ضَلَالَةٍ أو سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً»، وهذا معنى الإِحْدَاث في الدِّينِ،والله أعلم»اهـ.

١٠ـ وقال (ص١٩٢):

«**ومِنْهَا: الارْتِشَاءُ فِي الحُكْمِ** ... قال الشَّيخ شمس الدِّين بنُ القَيِّم: ويَدخُلُ في الرِّشْوَةِ هَدَايَا العَمَلِ[٣]»اهـ.

١١ـ وقال (ص٢٠٠):

«**ومِنْهَا: التَّحَيُّلُ عَلَى إِسْقَاطِ مَا أَوْجَبَ اللهُ تعالى أَو إِبَاحَةِ مَا حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى**: كذا عَدَّهُ الشَّيخ شمس الدِّين بنُ القَيِّم، قال: وقد مَسَخَ اللهُ اليهودَ قِرَدَةً وخَنَازِيرَ على تَحَيُّلِهِمْ على اسْتِبَاحَةِ ما حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِم مِن صَيْدِ الحِيتَانِ يومَ السَّبت. وقد عَابَ اللهُ تعالى أَصْحَابَ الجَنَّةِ الَّتِي عَزَمُوا على صَرْمِهَا لَيْلًا، لِيُسْقِطُوا نَصِيبَ المَسَاكِين، بِأَنْ أَتْلَفَهَا عَلَيْهِم، وجَعَلَهَا كالصَّرِيم، عُقُوبَةً لَهُم على تَحَيُّلِهِمْ على إِسْقَاطِ الحَقِّ الَّذي أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِم.

ولَعَنَ النَّبيُّ ﷺ اليَهُودَ على اسْتِبَاحَةِ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِم مِن الشُّحُوم، فَقَال في الحديث الصَّحيح: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ؛ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا، فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا ثَمَنَهَا»[٤]، وقال أيضًا: «لاَ تَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ اللهِ بِأَدْنَى الحِيَلِ»[٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النساء:١٤٢]، والمُخَادَعَةُ هِيَ الاحْتِيَال، والمُرَاوَغَةُ بِإِظْهَارِ ما يَجُوزُ فِعْلُهُ، وإِبْطَانِ ما لَا يَجُوزُ. فمُخَادَعَةُ اللهِ حَرَامٌ، والحِيَلُ على اسْتِبَاحَةِ ما حَرَّمَ اللهُ وإِسْقَاطِ مَا فَرَضَ مُخَادَعَةٌ.انتهى»اهـ.

١٢ـ وقال (ص٢٠٢-٢٠٣):

«**ومِنْهَا: كُفْرُ إِحْسَانِ المُحْسِنِ**: كذا عَدَّهُ الحافظ الذَّهبيُّ شمس الدِّين[٦]، والشَّيخ شمس الدِّين بنُ القَيِّم. واستدلَّا عليه بِقَولِهِ ﷺ: «لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»[٧] ... وقال الذَّهبيُّ: وقال بعض السَّلَف: كُفْرُ النِّعْمَةِ مِن الكَبَائِر، وشُكْرُهَا بِالمُجَازَاةِ أو بِالدُّعَاء»اهـ.

والأربعون)(ص١٢٧).
١. البخاريُّ ومُسلمٌ.
٢. هُوَ كذلك في «الكبائر» للذَّهبيِّ (الكبيرة التاسعة والخمسون)(ص ١٥٢).
٣. لَعَلَّها: العُمَّال.

٤. البخاريُّ ومُسلمٌ.
٥. ضعيفٌ. كما في «غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام» للألباني (رقم ١١).
٦. هُوَ كذلك في «الكبائر» للذَّهبيِّ (الكبيرة السبعون)(ص ١٦٤).
٧. «صحيح الجامع الصغير» للألباني (رقم ٧٧١٩).

١٣ـ وقال (ص٢٠٣):

«**ومِنْهَا: الحَسَد**:... وقد عَدَّهُ ابنُ القَيِّم وغيرُهُ مِن الكبائر»اهـ.

١٤ـ وقال (ص٢٠٤):

«**ومِنْهَا: سُوءُ الجِوَار**: وقد عَدَّهُ الشَّيخ شمس الدِّين بنُ القَيِّم -أيضًا- وغيرُهُ مِن الكبائر... »اهـ.

١٥ـ وقال (ص٢٠٦):

«**ومِنْهَا: أَنَّهُ يَسْتَمِعُ حَدِيثَ قَوْمٍ يَكْرَهُونَ سَمَاعَهُ إِيَّاهُ**: وقد عَدَّهُ الشَّيخ شمس الدِّين بنُ القَيِّم في الكبائر أيضًا. وقال الذَّهبيُّ[١]: يَحتَمِلُ أَن لاَ يَكُونَ كبيرةً»اهـ.

١٦ـ وقال (ص٢١٢):

«**ومِنْهَا: المُسَاحَقَة**: ...كذا عَدَّهُ الشَّيخ شمس الدِّين بنُ القَيِّم مِن الكبائر، واستدلَّ عَلَيهِ بما رُوِيَ...: «**السِّحَاقُ زِنَا النِّسَاءِ بَيْنَهُنَّ**»[٢] ...، وبمَا رُوِيَ...:«**ثَلاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنهُمْ قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: الرَّاكِبُ والمَرْكُوبُ، والرَّاكِبَةُ والمَرْكُوبَةُ، وَالإِمَامُ الجَائِرُ**»[٣]»اهـ.

١٧ـ وقال (ص٢١٩-٢٢٠):

«**مِنْهَا: الجُلُوسُ وَسْطَ الحَلْقَةِ**...-وذَكَرَ حديث حُذيفَةَ- أَنَّ رسولَ الله ﷺ **لَعَنَ الَّذِي يَجْلِسُ وَسْطَ الحَلْقَةِ**[٤] ...- وقد عَدَّ ابنُ القَيِّم الجُلُوسَ وَسْطَ الحَلْقَةِ مِن الكبائر، وذَكَرَ أَنَّ إِسْنَادَ حديثِ حُذَيْفَةَ حَسَنٌ، واللهُ أعلم[٥]»اهـ.

١٨ـ وقال (ص٢٢٠):

«**ومِنْهَا: تَعَلُّمُ العِلْمِ لِغَيْرِوَجْهِ اللهِ**... قال شمس الدِّين بنُ القَيِّم: وهذا مِن أكبر الكبائر»اهـ.

١٩ـ وقال (ص٢٢١):

«**ومِنْهَا: أَنْ يُسْأَلَ عَنْ عِلْمٍ شَرْعِيٍّ فَيَكْتُمَهُ مَعَ تَعَيُّنِ الجَوَابِ عَلَيْهِ**: وقد عَدَّهُ الذَّهبيُّ[٦] والشَّيخ شمس الدِّين بنُ القَيِّم مِن الكبائر مِن غيرِ قَيْدٍ»اهـ.

٢٠ـ وقال (ص ٢٢٣):

«**ومِنْهَا: الكَلِمَةُ الَّتِي تَعْظُمُ مَفْسَدَتُهَا وَيَنْتَشِرُ ضَرَرُهَا، وَلَا يُلْقِي لَهَا قَائِلُهَا بَالاً**: قال الشَّيخ شمس الدِّين بنُ القَيِّم: وهي ما يُسْخِطُ اللهَ ﷻ؛ لِمَا في الصَّحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ سمع

---

١. هُوَ كذلكَ في «الكبائر» للذَّهبيِّ (الكبيرة الثامنة والثلاثون)(ص ١١١).

٢. ضعيفٌ جدًّا. كما في«ضعيف الجامع الصغير» للألباني (رقم٣٣٣٨).

٣. موضوعٌ. كما في«ضعيف الترغيب والترهيب» للألباني (رقم١٤٥٠).

٤. ضعيفٌ. كما في«ضعيف الجامع الصغير» للألباني (رقم٤٦٩٤).

٥. لم يَعُدَّهُ الذَّهبيُّ في «الكبائر»، وإنَّما ذكرَ الحديثَ في ذلك تحت (فصل جامع لما يحتمل أنه من الكبائر) في آخر الكتاب.

٦. هُوَ كذلكَ في «الكبائر» للذَّهبيِّ (الكبيرة الخامسة والثلاثون)(ص ١٠١).

رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ»...»اهـ[١].

٢١ـ وقال (ص٢٢٥):

«ومِنْهَا: رَفْعُ المَأْمُومِ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ قَبْلَ الإِمَامِ: كذا عَدَّهُ ابنُ القَيِّم في الكبائر»اهـ.

٢٢ـ وقال (ص٢٢٥):

«ومِنْهَا: المُرُورُ بَيْنَ يَدَي المُصَلِّي وسُتْرَتِهِ: كذا عَدَّهُ ابنُ القَيِّم - أيضًا - في الكبائر»اهـ[٢].

٢٣ـ وقال (ص٢٢٩):

«ومِنْهَا: تَخَطِّي رِقَابِ النَّاسِ يَوْمَ الجُمُعَةِ: كذا عَدَّهُ الشَّيخ شمس الدِّين بنُ القَيِّم مِن الكبائر، واستدلَّ عليه بما رواه الإمام أحمد...: «الَّذِي يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الجُمُعَةِ ويُفَرِّقُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ بَعْدَ خُرُوجِ الإِمَامِ كَالجَارِّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ»[٣] ...»اهـ.

٢٤ـ وقال (ص٢٣٤):

«وقد عَدَّ ابنُ القَيِّم وغَيْرُهُ اسْتِحْلَالَ حَرَمِ المَدِينَةِ والإِحْدَاثَ فِيهَا مِنَ الكبائر»اهـ.

١. لم يَعُدَّهُ الذَّهبيُّ في «الكبائر»، وإِنَّمَا ذكرَ الحديثَ في ذلك تحت (فصل جامع لما يحتمل أنه من الكبائر) في آخر الكتاب.

٢. لم يَعُدَّهُ الذَّهبيُّ في «الكبائر»،وإِنَّمَا ذكرَ الحديثَ في ذلك تحت (فصل جامع لما يحتمل أنه من الكبائر) في آخر الكتاب.

٣. ضعيفٌ جدًّا. كما في«ضعيف الجامع الصغير» للألباني (رقم١٥٢٥).

٢٥ـ وقال (ص٢٣٦):

«ومِنْهَا: إِفْشَاءُ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ سِرَّ الآخَرِ... وقد عَدَّهُ ابنُ القَيِّم رحمه الله وغَيْرُهُ مِن الكبائر[٤]»اهـ.

٢٦ـ وقال (ص٢٣٧):

«ومِنْهَا: إِفْسَادُ المَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا والعَبْدِ عَلَى سَيِّدِهِ: كذا عَدَّهُ ابنُ القَيِّم رحمه الله وغَيْرُهُ في الكبائر[٥]»اهـ.

٢٧ـ وقال (ص٢٣٨):

«ومِنْهَا: أَنْ يُغَيِّرَ مَنَارَ الأَرْضِ: وهُوَ عَلَامَاتُ الطَّرِيقِ الَّتِي يَهْتَدِي بِهَا السَّائِرُونَ، فَإِذَا غَيَّرَهَا ضَلَّ النَّاسُ عَنْ طَرِيقِ قَصْدِهِمْ. كذا قال الذَّهبيُّ[٦] وابنُ القَيِّم وغيرُهما. وقال ابنُ القَيِّم: وقد صَحَّ عَنهُ ﷺ أَنَّهُ قال: «لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ»[٧]»اهـ.

٢٨ـ وقال (ص٢٣٩):

«ومِنْهَا: لُبْسُ الرِّجَالِ الحَرِيرَ: كذا عَدَّهُ الذَّهبيُّ[٨] وابنُ القَيِّم وغيرُهما مِن الكبائر»اهـ.

٤. لم يَعُدَّهُ الذَّهبيُّ في «الكبائر»،وإِنَّمَا ذكرَ الحديثَ في ذلك تحت (فصل جامع لما يحتمل أنه من الكبائر) في آخر الكتاب.

٥. لم يَعُدَّهُ الذَّهبيُّ في «الكبائر»،وإِنَّمَا ذكرَ الحديثَ في ذلك تحت (فصل جامع لما يحتمل أنه من الكبائر) في آخر الكتاب.

٦. هُوَ كذلك في «الكبائر» للذَّهبيِّ (الكبيرة السادسة والخمسون) (ص١٤٨).

٧. مُسلمٌ.

٨. هُوَ كذلك في «الكبائر» للذَّهبيِّ (الكبيرة الثالثة والخمسون) (ص١٤٤).

٢٩ـ وقال (ص٢٤٢):

«ومِنْهَا: اسْتِعْمَالُ أَوَانِي الذَّهَبِ والفِضَّةِ لِلرِّجَالِ والنِّسَاءِ فِي الأَكْلِ والشُّرْبِ وَالإِدِّهَانِ والاكْتِحَالِ: وكذا قال الشَّيخ شمس الدِّين بنُ القيِّم وغيرُهُ[١]»اهـ.

٣٠ـ وقال (ص٢٤٤):

«ومِنْهَا: سُوءُ المَلَكَةِ: لِمَا رُوِيَ...: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ سَيِّءُ المَلَكَةِ»[٢] ... وقد ذَكَرَهُ الشَّيخ شمس الدِّين بنُ القيِّم في «الكبائر» وذَكَرَ أَنَّهُ هذا الحديث ثَابِتٌ، والله أعلم»اهـ.

٣١ـ وقال (ص٢٤٨-٢٤٩):

«ومِنْهَا: تَفْلِيجُ الأَسْنَانِ بِالمِبْرَدِ ونَحْوِهِ لِلتَّزَيُّنِ، ويُقَالُ لَهُ الوَشْرُ...وقد عَدَّ الشَّيخ شمس الدِّين بنُ القيِّم مع ما ذكرناه القَشْرَ؛ وهُوَ جَرْدُ الوَجْهِ بِغَمْرَةٍ ونحوِهَا، واستدلَّ عَلَيهِ بِقَولِ عائشةَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَلْعَنُ القَاشِرَةَ وَالمَقْشُورَةَ[٣]»اهـ.

٣٢ـ وقال (ص٢٥١):

«ومِنْهَا: اللَّعِبُ بِالنَّرْدِ ... وكذا عَدَّهُ ابنُ القَيِّم وغَيرُهِ مِن الكبائر؛ لِمَا في «صحيح مسلم»...:«مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ»»اهـ.

٣٣ـ وقال (ص٢٥٥):

«ومِنْهَا: بُغْضُ الأَنْصَارِ... قال الشَّيخ شمس الدِّين بنُ القَيِّم رحمه الله تعالى: والمُرَادُ بِالأَنْصَارِ مَن نَصَرَ اللهَ ورَسُولَهُ ودِينَهُ، وهؤلاءِ بَاقُونَ إلى يومِ القيامة، فمُعَادَاةُ هؤلاءِ وبُغْضُهم مِن أكبَرِ الكبائر. انتهى[٤]»اهـ.



قال الإمام الشوكانيُّ رحمه الله:«ولهُ مِن حُسن التَّصرُّف مع العُذوبة الزَّائدة وحُسن السِّيَاق ما لا يَقدر عليه غالبُ المُصنِّفين؛ بحيث تَعشَقُ الأفهامُ كلامَه وتَمِيل إليه الأذهان وتُحِبُّه القُلوب، وليس لهُ على غيرِ الدَّليلِ مُعَوَّلٌ في الغالِب... فرحمهُ اللهُ وجزاهُ عن المسلمين خيرًا»

١. ذكر الذهبي في «الكبائر» (الكبيرة الرابعة والستون: الشُّرب في الذَّهب والفضَّة)(ص١٥٧).

٢. ضعيفٌ. كما في«ضعيف الجامع الصغير» للألباني (رقم٦٣٤٠).

٣. ضعيفٌ. كما في«ضعيف الجامع الصغير» للألباني (رقم٤٦٨٦).

٤. ذكر الذهبي في «الكبائر» (الكبيرة الثامنة والخمسون: سَبُّ الأَنصار في الجُملة)(ص١٥٢).

لَحَظَاتٌ مع الشَّيخ
محمَّد البشير الإبراهيمي

• بقلم الشَّيخ: حمزة بُوكُوشَة (ت ١٩٩٤م) رحمه الله

«الحديثُ عن أُستاذِنَا محمَّدٍ البشير الإبراهيمي رحمه الله مُتَعَدِّدُ الجهات، كما أنَّ مُقاومة الأستاذ لِلاِستعمار مُتعدِّدَة الجَبَهات، وقد تكفَّلت الجرائد والمجلاتُ بنَشرِ كثيرٍ مِن أَقوالِهِ والإشادة بكثيرٍ مِن أعماله، ولكن ثَمَّةَ شيءٌ مِن الأهمِّيَّة بمكانٍ لا يَعرفه إلاَّ مَن عاشَرَهُ ومَازَجَهُ عن كَثَبٍ، وقد أَسْعَدَنِي الحَظُّ بمُلازمته والعمل معه حِقْبَةً مِن الزَّمَن؛ فصاحَبْتُهُ في الحَضَر والسَّفَر وفي الرَّخاء والشِّدَّة، وهُنا عرفتُ قِيمةَ الرَّجُلِ ومكانته، وكيفَ يُؤدِّي رسالةَ الإنسانيَّة كإنسانٍ، فكَيفَ كان يُعامِلُ إخوانَه وتَلامذتَه ومُواطنِيهِ وخِلاَّنَهُ، وكيفَ يُعامِلُ خُصومَ أَفكارِهِ ومَبَادِيهِ، وكيفَ يَقِفُ مِنَ المُلُوك الأُمَراء والحُكَّام.

إنَّ الشَّفقةَ والرَّحمَةَ الَّتِي يَحمِلُها هذا الرجلُ العظيمُ لِلنَّاسِ تَكَادُ أَن تَكُونَ شفقةَ الوالِدِ على الأبناء، فإذا كان مِن النَّاسِ مَن يَتهرَّب مِن المسؤوليَّات ومِن مَشاكل النَّاس والتَّدخُّلِ فيها، فإِنَّ أُستاذَنا يَبحث عن تِلك المشاكل بِنَفسِهِ ويُحاوِل حَلَّها مَهمَا كَلَّفَهُ ذلك، فهُو يَتَفَقَّدُ إِخوَانَهُ ويَتَعَهَّدُهُم، ولاَ يَهْدَأُ بَالُهُ حتَّى يَطمئِنَّ عليهِم، وإذا التَقَى بِواحدٍ مِن تلامذتِه أو إخوانِه ومعارفِه، فإنَّه لاَ يُفارقُه حتَّى يكون على اطمئنانٍ مِن حالتِه المادِّيَّة وَالاِجتماعيَّة ولا يَكتفي بذلك، بل يَسْتَفْسِرُ حتَّى عن حالةِ الأَصهار والأَقارب، فإذا وجدَ خَلَّةً سَدَّهَا إن استطاع، ويَبذُلُ في ذلك رأيَه وجاهَه، فيَقترِضُ مِن هذا لِيُقْرِضَ هذا، وإذا عُوتِبَ في ذلك، يَقولُ: أنَا أَجِدُ مَن يُقْرِضُنِي، وهؤلاءِ لاَ يَجِدُونَ مَن يُقرِضُهُم، ولَقَد يكونُ في حاجةٍ إلى الشَّيءِ فيُؤْثِرُ بِهِ غَيرَهُ، فهُو مِن الَّذين يُؤْثِرُونَ على أَنفُسِهِم ولَوْ كان بِهِمْ خَصَاصَةٌ، ولَقَد رَأيتُهُ يَومًا في حاجةٍ إلى المال، فَاقْتَرَضَ شَيئًا، فمَا كادَ ذلِكَ النَّصِيبُ يَدْخُلُ جَيبَهُ حتَّى جاءَهُ مَن طَلَبَ مِنهُ الإعانَةَ على السَّفر إلى تونس لِيَذهب ويُحارب في فلسطين، فدفعَ إليهِ أكثرَ المبلغ الَّذِي اقترَضَهُ مُنذُ دقائق، وهُوَ مُنبسِطٌ مُتهَلِّلُ الوَجهِ والجَبين، وأَنَا أكاد أَتميَّزُ مِنَ الغَيْظِ، ولمَّا فارَقَنا الرجلُ أَنكَرْتُ علَيهِ ذلكَ، فقُلتُ لهُ: وما يُدرِيكَ أنَّ هذا مُدَجِّل؟ فقال لي: وما يُدرِيكَ أنَّهُ صادِقٌ؟ فقُلتُ لهُ: وهَبْهُ أَنَّهُ صَادِقٌ، أَلَستَ أنت أشَدَّ حاجةً مِنهُ؟ فذَكَّرني بحديثٍ نبويٍّ ما زِلتُ

أحفظُ معناه، **أَنَّهُ كانَ مِمَّن قبلَكُم رجلٌ تَصَدَّقَ على غَنِيٍّ فأَوحَى اللهُ إلى نَبِيِّ قَوْمِهِ: أَنَّ فُلانًا تَصَدَّقَ على غَنِيٍّ، وقَبِلَ اللهُ صَدَقَتَهُ، فلمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ المُتَصَدِّقَ، فقالَ: وعَلَى غَنِيٍّ، الحَمدُ للهِ** ... إلى آخر الحديث، وأَفْهَمَنِي مَعنى الحديث ومَغْزَاهُ، ثمَّ قال: اسْمَع يا وَلَدِي! أنَا أَضعُ كَبُوسَ هذا على رَأسِ هذا، وأَتَحَقَّقُ أنَّ اللهَ لا يَترُكُنِي، فأنَا لا أَترُكُ اللهَ.

ولَقَد كُنتُ أُرافقُهُ في أَسفاره داخلَ الوطن مُدَّةً مِن الزَّمن، فكانَ لا يُبالي أن يأكل في الصباح خبز الشَّعير، ويجلس على الحَصِير، ويأكل في المساء ما لَذَّ مِن الطعام ويجلس على الفراش الوَثِير، وهكذا الحياةُ عندهُ سواء، نعيمُها وبُؤسُها، خيرُها وشرُّها، وكان لا يَخرج مِن بلدةٍ دَخلَها، إلاَّ بعد أن يُصلِح ما فيها مِن خصوماتٍ بينَ القَائِمِين بِأَمْرِ التَّعلِيم، ويَبذُلُ غايةَ جُهُودِهِ لِإصلاحِ مَا بَينَ النَّاس، وكانَ يَقُولُ: إِنَّ اتِّحادَ هذهِ الجماعات ضَمانٌ لِبَقاءِ المشاريع، فأَنَا لذلكَ أَبْذُلُ الجُهود لِجَمْعِ الكلِمة، لأنَّ الإستعمار يَتَرَبَّصُ بهِم الدَّوائِر، ويَقِفُ لهُم عِندَ كُلِّ مَرْصَدٍ، وهَكذَا كان يَسعَى في جَمْعِ كلمةِ الأَحزابِ السِّياسيَّة، ويقولُ: إنَّ القَضيَّةَ الجزائريَّةَ لاَ تَنجَحُ إلاَّ بالاِتِّحاد.

وكان يُنكِرُ ذاتَه ويَذهبُ إلى مَنزلِ هذا ومَنزلِ هذا، ولو كانوا مِن خُصُومِهِ، والغايةُ عِندَهُ نَشرُ العربيَّة والإِسلام وجَمْعُ كلمةِ الأُمَّةِ عَلَيهِمَا، إذْ بِهِمَا تُسَمَّى الأُمَّةُ أُمَّةً.

ولَقَد قال لي يومًا: قُلتُ لِوَلَدِي محمد -عندما كُنتُ بتِلمسان، وقد كان يَقرأ في مَكتَبٍ مع أبناءِ خُصومي في المبدأ-: يا بُنَيّ، لاَ تَشغَل نَفسَكَ بما تَسمعُهُ مِن خُصوماتِنا نحنُ الكِبَار، فأَنتُم صغارٌ، أَنتُم أبناءُ الغَد، خَالِط زُملاءَك، والعَب معَهُم، وكُن معهم في المدرسة كأَخٍ، فأَنتُم إِخوَةٌ، أَنتم خُلِقتُم لِجِيلٍ، ونحنُ خُلِقنا لِجيلٍ.

وقَد أَنكرَ عليهِ بعضُ الإِخوان: فقال: كيف يَنزلُ ضيفًا على مَنزلٍ يَستضِيفُ الحُكَّام الفرنسيِّين، ففِي أُسبوعٍ يَدخُلُ هذا المنزل الحاكم العام الفرنسي، وفي أُسبوعٍ آخرَ يَدخُلُهُ الإبراهيميُّ شيخُ العُلماء.

فقال: إِنَّنَا نُبلِّغُ رِسالَتَنا في أيِّ مكانٍ نَستطيعُ الوُصولَ إِلَيهِ، وهذا المَنزلُ الَّذي يَستضيفُ الحاكم الفرنسيَّ إن لم نَستطِع كَسْبَ صاحبِ المنزل وفَصْلَهُ مِن الفرنسيِّين فَصْلًا تامًّا، فلاَ أَقَلَّ مِن أَن نُزلزِل ثِقتَهُ بهِم أَو ثِقتَهُم فِيهِ حتَّى يَرْعَوِيَ عن غَيِّهِ.

ولَقَد عِشتُ معهُ شهرًا بِالشَّرق، وحضرتُ لِبعضِ زيارته لبعضِ الرُّؤساء والملوك العرب، فكانت تتَجَلَّى فِيهِ صفةُ العالِم المُسلِم؛ يُخاطبُهم بأسمائهم، ويُكلِّمُهُم بِصراحةٍ لم يَتَعَوَّدُوهَا، ويَتحادثُ مَعهُم في شؤونِ بُلدانهم كواحدٍ منهم، ولقد حاول بعضُهم أَن يَسْتَبْقِيهِ هُنالكَ في منصبٍ عِلميٍّ كبير، فلَم تُغْرِه المناصبُ الفخمة والألقاب الضَّخمة، لأَنَّ حنينَه إلى الجزائر ما يَزال يتجدَّد، ولقد قال في إحدى رسائله بعث بها من القاهرة إلى



الجزائر مُخاطبًا الوطَن:

«لا تَنسَي أَنِّي كنتُ لكِ مِن عَهْدِ التَّمَائِم إلى عَهْدِ العَمَائِم، ما شُغِلْتُ عَنْكِ إلاَّ بكِ، ولا خَرَجْتُ مِنْكِ إلاَّ عَائِدًا إِلَيْكِ.

خَطَّتِ الأَقْدَارُ في صحيفتي أَن أفتح عَينِي وأَنتِ مُوثَقَة، فهل في غَيْبِ الأَقدَارِ أَن أُغْمِضَ عَيْنِي فِيكِ وأَنتِ مُطلَقة، وكَتَبَت الأَقدارُ عَلَيَّ أَلَّا أَملِكَ مِن أَرضِكِ شِبْرًا، فهل تَكتُب لي أَن أَحُوزَ في ثَرَاكِ قَبْرًا؟»

وهكذا أَجَابَ اللهُ رَغبَتَه، فمَا أَغمَض عينَه إلاَّ والجزائرُ حُرَّةٌ مُستقِلَّةٌ، ودُفِن بِمقبرة سيدي امحمد رحمه الله.

حمزة بُوكُوشَة

[جريدة «الشعب»، العدد(٢٣٠٩)، (ص٨)، ٢١ مايو ١٩٧٠م]

وَصِيَّةُ عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي إِلَى أَبِي سالمٍ عبدَ اللّه العياشيّ

• أَوْرَدَ القادريُّ في «نشر المثاني» - ضمن «موسوعة أعلام المغرب» (ص١٦٢٨) -، هذه الوصيَّة لأبي محمَّدٍ عبد القادر الفاسي (ت ١٠٩١هـ)، أَوْصَى بها أبا سالمٍ عبدَ اللّه العياشّي (ت ١٠٩٠هـ)، حينما كاتبه هذا الأخير بالاِستِجَازة:

قال: «... وأَجَزْتُ الفقيه المذكور إِجازةً تامَّةً عامَّةً وشاملةً، مُوصِيًا لهُ بِبَذل المجهود، وفراغ الوُسع في النَّظر والتَّثبُّت في الفتوى في دِينِ الله، وأَن لاَ يَقطع فيما لم يَنُصَّ عليه الشَّرع العزيز إِلاَّ ببُرهان كالشَّمس، وأن يَجعل الوَقفَ حِصْنًا حصِينًا عند عدمِها.

ولْيَحذر أَن تكون هِمَّتُهُ مُجرَّد الرِّواية والدِّراية، ويُهْمِل ما هُوَ المقصودُ بالذَّاتِ مِن الرِّعاية، فإنَّ ذلك شأنُ مَن يَطلُبُ العِلمَ لِلمُباهاةِ والمُطاوَلَة على الأَقْران، وهذا العِلمُ الَّذِي يُكسِبُ النَّفسَ طُغيانًا وكِبْرًا واحتِقَارًا لِلغير، وليسَ مِن زادِ الآخِرة ولاَ مِن العِلم النَّافع في شيءٍ، وإِنَّما العِلمُ النَّافِع الَّذِي يَصحبُهُ الخَشيَةُ للهِ، والتَّواضُعُ لِجلالِ اللهِ، واحتقارُ النَّفس، وعَدمُ الرِّضى عنها، بِحيثُ لاَ يَستحسِنُ شيئًا مِن أَحوالِها، ولاَ يَرى في الوُجُودِ أَحقَرَ مِنها، لِمعرفتِهِ بِقَدْرِه، وجَهْلِه بعاقبَةِ غيرِه، وَلْيَستَعِن الإِنسانُ على ذلك بِالتَّفرُّغ مِن الشَّواغِل وترَكِ مَا لاَ يَعني وَإِيثار السَّلامَة على غيرِها، كما قِيلَ:

وَقَائِلَـةٍ مَـا لِـي أَرَاكَ مُجَانِبًا
أُمُورًا وَفِيهَا لِلتِّجَارَةِ مَرْبَحُ

فَقُلْتُ لَهَا مَا لِي بِرِبْحِكِ حَاجَةٌ
فَنَحْنُ أُنَاسٌ بِالسَّلاَمَةِ نَفْرَحُ

ولاَ يَضع نَفسَهُ في المُزَاحمَة على الدُّنيَا والتَّنافُس فِيها وفِي رِيَاسَتِها، فإِنَّ ذلكَ مُذْهِبٌ لِنُورِ العِلم، مُفْسِدٌ للدِّين، مُكَدِّرٌ لِصَفْوِ اليَقين، ولِذَا قِيلَ:

أَلاَ إِنَّ حُبَّ المَالِ وَالجَاهِ مُفْسِدٌ
قَبِيحٌ، بِأَهْلِ العِلْمِ ذَلِكَ أَقْبَحُ

وأَيُّ شَيءٍ رِيَاسَةُ الدُّنيَا حتَّى يُتنَافَسَ فِيهَا ويُبذَلَ أَنفَسُ شيءٍ وهُو عُمْرُ الإِنسان الَّذِي هُو رَأْسُ مَالِهِ؟!، مَعَ أَنَّها كثيرةُ العَنَاءِ سَرِيعَةُ الاِنْقِضاء عُرْضَةٌ لِلفَنَاء، وإِنَّهُ لاَ بُدَّ لِبنَاءِ هذهِ الدَّار أَن تُهَدَّ دَعَائِمُهُ وتُسْلَبَ كَرَائِمُه، فلاَ يَشتَغِل العَاقِلُ بِمَا يَفْنَى عَمَّا يَبْقَى، لِذَا قالَ النَّاصِحُ الأَكبَرُ ﷺ لأَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه: «**إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي؛ فَلاَ تَتَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، ولاَ تَتَوَلَّيَنَّ مَالَ اليَتِيمِ**».

و[مـ]ـا يَنبَغِي الاِعْتِنَاءُ بِهِ المُحافَظَةُ على الصَّلَوات الخَمس في أَوقاتِ الجَماعَة؛ لأَنَّهَا عِمَادُ الدِّينِ وَمِفتاحُ أَبوابِ الهِدَايَة، ولَقَد كان عُمَرُ رضي الله عنه يَكتُبُ لِعُمَّالِهِ: «**إِنَّ أَهَمَّ أَمْرِكُمْ عِنْدِي الصَّلاة، فَمَن**

حَافَظَ عَلَيها حَافَظَ عَلَى غيرِهَا، ومَن ضَيَّعَهَا كانَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَع».

وهِيَ بِمَثَابَةِ الوَجْهِ مِن الإنسان، وأَوَّلُ مَا يُرَى مِن الإِنسانِ وَجْهُهُ، ولاَ يُهْمِلُها ويُؤَكِّدُ الاِشتغالَ بِطلبِ العِلمِ عَنها كمَا يَظهر في كثيرٍ مِن طَلَبَةِ الوقت، فإِنَّ ذلكَ مِن دَوَاعِي الخُسْرَان والمَقْت، والعِلم رَفِيق بِالعَمَل، فإن وَجدَهُ وإلاَّ ارْتَحَل، ولاَ يَترُكُ الجماعةَ ويُضَيِّعُها إلاَّ خَاسِرٌ، وقَد قال الشَّيخ زَرُّوق: «وإِنْ فَاتَتْكَ تَكبيرةُ الإِحرام، فلاَ كلاَمَ معكَ، فإِنَّ ذلكَ مِن التَّقصيرِ والتَّفريط».

واللهُ يُوفِّقُنا لما يُحِبُّه ويَرضاه، ويُجَنِّبُنا مَواقع الغَلَط في سبيل هُدَاه، ويَجعل خَيْرَ أَيَّامِنا وأَسْعَدَها يومَ لُقَاه، ويَنهج بِنَا مناهج المُقَرَّبين والأَبْـرَار، ويَرضَى عَنَّا في هذهِ الـدَّار، وفِي تِلك الـدَّار، فإِنَّهُ أَرحمُ الرَّاحِمين وأَكرَمُ الأَكرَمِين، وهُوَ حَسْبُنَا ونِعْمَ الوَكِيل.

قالَ ذلكَ وكتَبَهُ عبدُ ربِّه البَائِس الفَقِير، الرَّاجِي عَفْوَ ربِّه القَدِير، عبدُ القادر بن علي بن يوسف الفاسي، أَصْلَحَ اللهُ قَلبَه، وغَفرَ ذَنْبَه، وسَتَر عَيْبَه، أَوَاسِط شعبان عام ثلاثة وستين وألف (١٠٦٣هـ)، وصلَّى الله على سيِّدنا ومَولانا محمَّدٍ وآلِهِ وصَحبِهِ وسلَّم تَسلِيمًا». انتهى.

والعِلم رَفِيق بِالعَمَل، فإن وَجَدَهُ وإلاَّ ارْتَحَل



بَادِيسِيَّات

مِنْ مَنْثُورَاتِ الإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ عبدِ الحميد ابنِ بادِيس رحمه الله

۞ «لاَ بُدَّ للشَّمسِ مِن ظُهُورٍ وَلَوْ تَكاثفت الغُيُومُ! ولاَ بُدَّ أن يَقذِفَ اللهُ بِالحَقِّ على البَاطِلِ فيَدمَغُهُ فإذَا هُوَ زَاهِقٌ! وإِنَّ اللهَ لاَ يُصلِحُ عَمَلَ المُفسِدِين، ويُحِقُّ الحَقَّ بكَلِمَاتِهِ ولَوْ كَرِهَ المُجْرِمُون»[١].

۞ «لِيَعلَمِ النَّاسُ أنَّ اللهَ نَاصِرُ مَن يَنصُرُهُ! وأَنَّ حِزْبَ الله هُمُ الغَالِبُون، ولْيَعْلَمْ كُلُّ ذِي مُوسَى! أَنَّ مُوسَى اللهِ أَحَدُّ، وكُلُّ ذِي سَاعِدٍ! أَنَّ سَاعِدَ اللهِ أَشَدُّ، وكُلُّ مُتَرَبِّبٍ! ومُتَكَبِّرٍ! أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ واللهُ أَكبَرُ»[٢].

۞ «إِنَّ حياةَ الأُمَّة تُقَاسُ بِنِسْبَةِ ما فِيهَا مِن رِجالٍ عَامِلِين!»[٣].

۞ «إِنَّ الرِّجال تُعْتَبَر بِالأَعمال، وإِنَّ الأَعمال تُعْتَبَر بِمَا فِيهَا مِن نَفْعٍ يَتعدَّى العَامِلَ إلى غَيرِهِ»[٤].

۞ «إذَا كَانَت الأُمَمُ بالأَخلاَقِ، والأَخلاَقُ بالتَّربية، فالأُمَمُ بعُلمائِهَا الَّذِين يَقُومُونَ عَلَى تربِيَتِها وتَهذِيبِ أَخلاَقِهَا وتَوجِيهِهَا نَحوَ الخَيرِ والكَمَالِ، وقَد قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ»**، وقال: **«إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا»**، فالتَّربيةُ والتَّعليمُ هُما وَظِيفَةُ الأَنبياءِ، وبِالقِيَامِ بِهِما كَانَ العُلَماءُ وَرَثَةَ الأَنبياءِ»[٥].

۞ «كُلُّ مُسلِمٍ عَلَيهِ أَن يَنفَعَ بِمَا اسْتَطَاعَ، فِي أَيِّ حَالَةٍ كَانَ»[٦].

۞ «العِلمُ حياةٌ والجهلُ موتٌ، العِلمُ نورٌ والجهلُ ظلامٌ، العِلم ممدوحٌ والجهلُ مذمومٌ، العِلمُ سعادةٌ والجهلُ شقاءٌ»[٧].

۞ «فبِالعِلم -كما رأيتَ- نخدمُ العِلمَ، وبالعِلمِ نخدمُ المسلمين، وبالعِلمِ نخدمُ الجزائر... وإنَّ في خدمةِ الجزائرِ بالعِلمِ لَحياةً وسعادةً وأمنًا ورفاهيةً...»[٨].



١. [«الشِّهاب»، عدد (١١٢)، (ص٥)].

٢. [«الشِّهاب» (١٠/ ٤٢٦)].

٣. [«الشِّهاب» (٣/ ٥٥٧)].

٤. [«الشِّهاب» (٣/ ٥٥٧)].

٥. [«الشِّهاب»، م١٤، (ص٣٩٣- ٣٩٤)، ج ٨، شعبان ١٣٥٧هـ- أكتوبر ١٩٣٨م].

٦. [«الشِّهاب»، م١١، ج ٨].

٧. [جريدة «النَّجاح»، ١٩٣٢م].

٨. [جريدة «النَّجاح»، ١٩٣٣م].

آثارٌ سَلَفِيَّةٌ في التَّوَاضُعِ

❋ عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «**إِنَّكُمْ لَتُغْفِلُونَ أَفْضَلَ العِبَادَةِ: التَّوَاضُعِ**»[١].

❋ هشام بن حسان قال: ذَكَرُوا التَّوَاضُعَ عند الحَسَن، وهو ساكتٌ، حتَّى إِذَا أَكْثَرُوا عَلَيهِ، قال لهم: أَرَاكُم قَد أَكْثَرْتُمُ الكَلَامَ فِي التَّوَاضُعِ. قالوا: أَيُّ شَيءٍ التَّوَاضُعُ يا أَبَا سعيدٍ؟ قال: «**يَخْرُجُ مِن بَيتِهِ؛ فَلَا يَلْقَى مُسلِمًا إِلَّا ظَنَّ أَنَّهُ خَيرٌ مِنْهُ**»[٢].

❋ سمعتُ الحَسَنَ يقولُ: «**تَدْرُونَ مَا وَجْهُ التَّوَاضُعِ؟**». قال: وَمَا وَجْهُ التَّوَاضُعِ؟ قالَ: «**أَن يَخْرُجَ الرَّجُلُ مِن بَيْتِهِ فَلَا يَلْقَى مُسْلِمًا إِلَّا وَضَعَ نَفْسَهُ دُونَهُ لِمَا يَعْلَمُ مِنْهَا، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ**»[٣].

❋ صالحٌ المري قال: خرج الحَسَن ويونُس وأَيُّوب يَتَذَاكَرُونَ التَّوَاضُعَ، فقالَ لهُمَا الحَسَن: «**وهَل تَدْرُونَ مَا التَّوَاضُع؟ التَّوَاضُعُ أَنْ تَخْرُجَ مِن مَنْزِلِكَ؛ فَلَا تَلْقَ مُسْلِمًا إِلَّا رَأَيتَ لَهُ عَلَيْكَ فَضْلًا**»[٤].

❋ محمد بن جعفر قال: سُئِلَ الفُضَيل بنُ عِياضٍ عَنِ التَّوَاضُعِ، فقالَ: «**يَخْضَعُ لِلحَقِّ وَيَنْقَادُ لَهُ، ويَقْبَلُ الحَقَّ مِن كُلِّ مَن يَسْمَعُهُ مِنْهُ**»[٥].

❋ إبراهيم بن الأشعث، قال: سَأَلتُ فُضَيلَ بنَ عِيَاضٍ عن التَّوَاضُع؟ فقالَ: «**أَن تَخْضَعَ لِلحَقِّ وتَنْقَادَ لَهُ مِمَّن سَمِعْتَهُ، ولَوْ كَانَ أَجْهَلَ النَّاسِ؛ لَزِمَكَ أَن تَقْبَلَهُ مِنْهُ**»[٦]، وفي التواضع والخُمُول: «**... وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِن صَبِيٍّ قَبِلْتَهُ مِنْهُ، وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِن أَجْهَلِ النَّاسِ قَبِلْتَهُ مِنْهُ**»[٧].

❋ يونس بن عبد الأعلى، يقول: سمعتُ الشَّافعيَّ يقولُ: «**التَّوَاضُعُ مِن أَخْلَاقِ الكِرَام، والتَّكَبُّرُ مِن شِيَمِ اللِّئَام**».

قال: وسمعتُ الشَّافعيَّ يقول: «**أَرْفَعُ النَّاسِ قَدْرًا مَنْ لَايَرَى قَدْرَه، وأَكْثَرُ النَّاسِ فَضْلًا مَنْ لَايَرَى فَضْلَهُ**»[٨].



١. [الزُّهد لأحمد بن حنبل (ص: ١٦٤)، الزُّهد لأبي حاتم الرازي (ص: ٢)، الزُّهد لأبي داود (٣٥٠)].
٢. [الزُّهد لأحمد بن حنبل (ص: ٢٧٩)].
٣. [الزُّهد للمُعَافَى بن عمران الموصلي (ص: ١٦٠)].
٤. [التواضع والخُمُول لابن أبي الدنيا (ص: ١٥٢)].
٥. [شُعَب الإيمان للبيهقي (٧٨٩٥)].
٦. [جامع بيان العلم وفضله - الريان (١/ ٢٠٥)].
٧. [التواضع والخُمُول (ص: ١١٨)].
٨. [تاريخ دمشق لابن عساكر (٥١/ ٤١٣)].

وَهْرَان الإسلاميَّة

في النصف الثاني مِن القرن التاسع الهجري (٠٢)

هذه مقتطفاتٌ مِن رحلة **الشَّيخ عبد الباسط بن خليل القاهري الحنفي** (ت ٩٢٠هـ) إلى بلاد المغرب، وشَيءٌ مِن مشاهداته في مدينة «وَهْرَانْ»؛ التي كانت حِينها تابعةً لِمملكة تلمسان الزيانية العبد وَادِية -وكان سلطانها إذ ذاك: محمد بن أبي ثابت-.

أقام الشَّيخ عبد الباسط بها في النصف الثاني مِن القرن التاسع الهجري، دخلها في:يوم الثلاثاء ٢٧ صفر مِن سنة ٨٦٩هـ، وخرَج منها في: ربيع الأول ٨٧١هـ، وهِي مُسْتَلَّةٌ مِن كتابِهِ:«**الرَّوض الباسِم في حوادث العمر والتراجم**»، بتحقيق: د. عمر عبد السَّلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ج٣، (ص٤٨ـ ١٢٧ـ١٢٨ـ١٣٧ ـ ١٨٢ـ ١٨٣ـ١٨٤):

«**وفيهِ [في يوم السَّبت ثالث عشرينه ـ ٢٣ شعبان ٨٦٩هـ ـ]** عُمِلت وليمةٌ عظيمةٌ بمدينة وَاهْـرَانْ في منزل خطيبِها؛لأجل خَتْمِ وَلَـدِهِ القرآن العظيم، وحضرها جماعةٌ مِن الأعيان بِوَاهْرَانْ، وأكل منها غالبُ أهل البلد، وحصل للشَّيخ عبد الرحمن بن عَزُّوز؛ إمام زاوية إبراهيم التَّازي، وفقيه المَكْتَب الَّذي أنشأَهُ الشَّيخ المذكور، وهو فقيه هذا الولد الَّذي أَحفظهُ القرآن، زيادةً على المائة دينار ذهبًا، كلُّ دينارٍ زِنَـة مِثْقَال، وكـان مهمًّا حَافِلًا في يوم مَشهودٍ بِتلك البلدة ...

وفيه، في يوم الأحد، رابع عشره [١٤ رجب ٨٧٠هـ]، قدم عبد الله بن عبد الرَّحمن المعروف بابن النَّجَّار، ولدُ صاحب الأَشْغال بتلمسان، بل ومُدَبِّر مملكة تلمسان، أعني والدَهُ عبد الرَّحمن، وقدم لأَجْـلِ تَعْشِيرِ مَـرَاكِب قَدِمَت مِن الفِرَنْج بِمَتَاجِر لِمدينة وَاهْرَانْ... ثُمَّ عاد بعد يُوَيْمَاتٍ إلى تلمسان، وبعد أن أَوصَـى عَلَيَّ مُشْرِف وَاهْـرَانْ غاية الوصيَّة، وكان المُشْرِف على وَاهْرَانْ إذ ذاكَ إنسانٌ مِن أَهلها يُقال له:«محمد الركاجي»، كان هو المُدَبِّر لِوَاهْرَانْ، وبِيَدِه جَمِيعُ تعلُّقاتها، ليسَ لأَحَدٍ مَعَهُ كلمة، وكان وَلِي الإشراف عن (...)[١] وكان مِن رؤساء وَاهْرَانْ وأكابرها، في دولة أحمد بن أبي حمُّو، المعتصم بـالله(...)[٢] فلمَّا وليها محمَّد بن أبي ثابت بعد أحمد المعتصم المذكور، أخرجه عن إشراف وَاهْرَانْ، بعد أن صَادَرَهُ، واستقدمه إلى تلمسان، فَسَجَنَهُ بِالقصر بها، هُو وجماعةٌ مِن أعيان دولة أحمد بن أبي حَمُّو، منهم وزيره ...

ثُمَّ قَدِمَ علينا [شوَّال ٨٧٠ هـ] مُشْرِفُ وَاهْرَانْ إليها، ورَأيتُهُ شيخًا حَسَن الهَيْئَة، مُنَوَّر الشِّيبَة، مِن أَهل العقل والـرَّأي والتَّدبير، وله مِن السِّنِّ فوقَ

١. كلمات ممسوحة في الأصل.
٢. كلمات ممسوحة في الأصل.

السَّبعين سنةً. فلعَلَّهُ وُلِدَ قُبيل القرن بيَسِير.

وكان له إذ ذاكَ ثلاثة أولاد، نُجَبَاء، طلبة علم، رؤساء، أَحدُهُم يُسَمَّى عبد الرحمن، ويُكْنَى بأبي زيد، شابٌّ حَسَن، وُلِد بعد الأربعين وثمانمائة، ونشأ نشأةً حسنةً في عِزَّةٍ وثَروة، وحفظ القرآن العظيم في حالة صغره، وتَعَانَى الإشتغال بالعلم. ولمَّا قَدِمتُ إلى وَاهْرَانْ لَازَمَنِي مُدَّةً، وسمع الكثير مِن نظمي، وقرأ عَلَيَّ شيئًا في الطِّبِّ وغيره، وله ذكاءٌ مُفرِطٌ وفَهْمٌ وعقلٌ وتُؤَدَةٌ وحِشْمَةٌ وأَدَبٌ وسُكُونٌ وعَرَاقَةُ أَصْلٍ. ثُمَّ لم يَنْشَب وَالِدُهُ أَن ماتَ بعد أن تمرَّضَ أيَّامًا قلائل ﵀ ...

وفيه، في ثالثه [الجمعة ٣ مُحَرَّم ٨٧١ هـ]، جَرَت بِوَاهْرَانْ غريبةٌ؛ وهو أَنَّ شخصًا مِن التُّجَّار قدم عليها بأشياء، مِن جملة ذلك ثلاثة قرون مَلْأَى بالزَّبَاد[١] الجَيِّد، تُساوِي قيمتُها جُملةً مِن المال، فخاف إن دخل بها مِن باب المدينة يُؤخَذُ عُشُرُهَا، فأَوْسَعَ الحِيلةَ قبل أن يدخل المدينة في إخفائها في إدخالها، والعادة جَرَت هناك أَنَّ مَن خاف على لبسه مِن مِثل ذلك، وَزَّع ما معه لِمَن يَدخل البلد مِن أهلها، أو أعطاه لهُ لِيَدْخُلَ لَهُ بِهِ، فَإِنَّهُ لا يُفَتَّش، سواءٌ عَرَفَهُ صاحبُ المتاع أو لم يَعْرِفْهُ، وإذا دخل البلد إمَّا قَصَدَهُ صاحبُ المتاع فأَخَذَهُ، أو جاء هُوَ بِهِ إلى صاحبه، فاتَّفق أَن خرج أمير الباب الَّذي هو على أَخْذِ هذهِ العُشُور، فرآه هذا التَّاجر وهُوَ راكبٌ، فتوَسَّمَ فِيهِ الخير وسأله أَنَّهُ يَأخُذُ هذه الثَّلاثة قُرُون، ويَدخل بها مِن الباب لأَجْلِ خَلَاصِها لَهُ مِن التَّعْشِير، مِن غير أن يَعلَمَ أَنَّهُ هُوَ المُعَشِّر صاحب الباب، فأَجَابَهُ إلى ذلك، بعد أن قال لَهُ التَّاجر: لَعَلَّك تَدخُلُ بها المدينةَ وتُخَلِّصُني مِن تَعْشِيرِهَا وتَسليطِ الظَّلَمَة عَلَيَّ، ويَحصُلُ لَكَ أَجْرٌ، بَلْ وأُثِيبُكَ على ذلك بِشيءٍ مِن مالي على وَجهٍ حِلٍّ، فقال له: حبًّا وكرامةً، وأخذ منه ذلك، وأخفاه معه، ودخل به مِن الباب، ثُمَّ دخل التَّاجر بعده، فوجده الجالس لأَخْذِ العُشُور بالباب، فحصل عنده الباعث بِذلك منه، ولم يُمكنه أن يُقابله ولا يُكَلِّمه، فقصدنِي هذا التَّاجر، وكان بيننا مَعرفةٌ مِن قبل ذلك، وذكر لي واقعته، وصار في غاية الخوف مِن أَن يُنكِرَ العَشَّار ذلك، أو يجعل له الذَّنب مناقر[٢] جميعه، فإِنَّهُ جَرَت بعض العادة بأَنَّ مَن فَعَلَ مِثلَ ذلك مِن التُّجَّار وظفر بِهِ، أخذ جميع ما فَوَّزَهُ وأَخْفَاهُ مِن التَّعْشِير، لا سِيَّمَا إن طمع في جانبه. فحَملتُ هَمَّ هذا المسكين وقُلتُ له: قد غَرَّرتَ بِنفسك، فلا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله، لكِن قُمْ بنا إلَيهِ عَسَاهُ أَن يُسَخِّرَهُ اللهُ تعالى وتكلِّمه في أخذ عُشُرِهِ ونعتذر إليه، وأنا أُساعِدُكَ عَلَيهِ لله، فإِنَّنِي أَعرف هذا الشَّخص، فلَعَلَّهُ لَا يُخَيِّبُنا، ولا شَكَّ عندنا في أَنَّنا إذا أكرمنا غاية الإكرام أَن يَأْخُذَ العُشُر ويَرُدَّ الباقي، وإمَّا غير ذلك مِن أَخذِ الجميع أو زيادة على العُشُر، أو الإنكار رَأسًا، فصار مُتوهَّمًا لنا، فلمَّا قدمنا عليه، ووقع بصرُهُ علينا نهض إليَّ قائمًا وأجلسني بمكانٍ أرفع منه، وأَجلَسَ الآخر، ثُمَّ أخذتُ في الكلام مَعَهُ سِرًّا، وقُلتُ له: خُذ العُشُر ورُدَّ الباقي إلى صاحبه، ولك أيضًا شيءٌ يخدمك

١. الزَّبَاد: الطِّيب.

٢. كذا؟

به، ولا تؤاخذه. فقال لنا: أعوذ بالله، إنَّهُ يَقْبُحُ بِي أَن يَكُونَ هذا الغريب قد ظنَّ فِيَّ الخير، وآخُذ العُشْر مِن متاعه، ولم يَطَّلع عليه الشُّهودُ ولا غيري مِن أهل الباب، وقد اعتمدَ في تَخْلِيصِهِ عَلَيَّ، وأنا أَحضُرُ بِهِ إِلَيكَ بِنَفسِي، والتفتَ إلى صاحبِ المَتاع وقال له: مَتاعُك عندَ فُلان، اقْصِدْهُ بَاكِرَ النَّهار تَجِدْهُ عِندَهُ، وأَشارَ إِلَيَّ، فشَكَرْتُهُ على صَنِيعِهِ ودَعَوتُ لَهُ، وقُمْنَا، وذَكَرْتُ ذلك للتَّاجر، فحصل عندهُ بذلك غاية السُّرُور، وأحضر شيئًا مِن نوع الهديَّة لِيُعطيه لصاحب الباب إذا حَضَر عندي بالزَّبَاد، فما استقمنا صلاة المغرب إلَّا وقد حضر معه القُرُون وأَسْلَمَهَا لِصاحبها، وأَقْسَمَ بِاللهِ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الهَدِيَّة، وأَنَّهُ لو ظفر بالزَّباد معه أو مع غَيرِهِ لَعَشَّرَهُ، وكان عُشُرُهُ نحو العشرين دينارًا، فعجِبتُ من هذا الإنسان غاية التَّعَجُّب، مع ظُلْمِهِ ووُقُوفِهِ في هذه الوظيفة كيفَ عَفَّ وكَفَّ، لكنَّنِي أَعرفُ أَصَالَتَهُ، وكَونَهُ مِن ذَوِي البُيُوتَات، جزاه الله تعالى خيرًا عن هِمَّتِهِ ومُرُوءَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَنَا بالتَّكَتُّم في هذه القضيَّة خوفًا مِن إشاعتها ووصول عِلمِها للسُّلطان، فكتمنا ذلك عنهُ إلى أَن سافرتُ مِن وَاهْرَانْ....

وفيه، في ثامنه [الأربعاء ٨ محرَّم ٨٧١ هـ]، وَرَد ظَهِيرٌ ـ وهو الَّذي كالتَّوقِيع ببلادنا هذه ـ مُكتَتَبٌ مِن تلمسان، عليه خَطُّ السُّلطان صاحبها محمَّد ابن أبي ثابت المُتَوَكِّل على الله، بِتقرير إنسانٍ مِن أهل وَاهْرَانْ في خِطابة جامع البَيْطَار بها، وصُرِفَ صاحبُنا الشَّيخ الفاضل العالم العامل الصَّالح أبو عبد الله محمَّد بن القَصَّار، المَاضِي ذِكرُهُ غيرَ مَا مَرَّة، وكان السَّبَب في صَرْفِهِ كَلَامٌ بلغ السُّلطانَ المذكورَ عَنهُ؛ فِيهِ أَمرٌ بِمَعروف ونَهيٌ عن مُنكَر، فَلَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ!»اهـ.



مسجد الباي محمد بن عثمان الكبير - وهران